المعجم الوجداني في شعر البحتري

محمد أحمد محمد أحمد الدسوقي

باحث دكتوراة بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

mohamedalnakeeb83@gmail.com

DOI: 10.21608/jfpsu.2021.65384.1046

المعجم الوجداني في شعر البحتري

مستخلص

إن لكل شاعر من الشعراء الوجدانيين لغتَه الخاصة به، والتي تميز معجمَه الشعري عن غيره من الشعراء، إلا أنهم جميعا يستخدمون اللغةَ الشعرية الإيحائيةَ للتعبير عن نزعاتهم الوجدانية المتباينة، فالشاعر الوجداني يطوِّع اللغةَ بما يَخدم أفكارَه ومشاعره الوجدانية، فقد بدت لغة البحتري هادئةً رقيقة في سياقات الحب وطيف الخيال، كما مزجها بعناصر البيئة من حوله لتحمل دلالاتٍ أخرى بالإضافة إلى دلالاتها المعجمية في سياقات وصف الطبيعة، كما بدت انفعاليةً عاطفية لتعبر عن الألم والحنين في سياقات الاغتراب والحزن لفراق الأحبة أو فقدهم بالموت، وجاءت جزلةً رصينة في سياقات الفخر الذاتي ومدح الآخر، وسهلةً واضحة في سياقات الهجاء، فالمعجم الشعري تتباين لغتُه تبعا للحالة النفسية الوجدانية المهيمنة على الشاعر.

الكلمات المفتاحية: المعجم، الوجداني، شعر، البحتري، اللغة.

Emotional Dictionary in Al-Bahtari's Poetry

Mohamed Ahmed Mohamed Ahmed Al-Desouki
A PhD Student at the Arabic Department
Faculty of Arts, Port Said University

Abstract

Every poet of the emotional poets has his own language that distinguishes his poetic dictionary from the other poets. In spite of that, all of them use the inspiring language to express their different emotional trends. The emotional poet forms the language to serve his ideas and emotional feelings. Al-Bahtari's language seemed to be quiet and tender in the contexts of love and phantom of imagination. He mixed his language with environment factors to have other semantics beside its lexical semantics in the contexts of describing the nature. Also, his language seemed to be passionate and emotional to express pain and homesickness in the contexts of expatriation and sorrow for leaving the lovers or by losing them due to death. His language was abundant and eloquent in the contexts of self-pride and praising the others. It was easy and clear in the satire. The poetic dictionary differs in language according to the psychological state that overwhelms the poet.

***Keywords*:** Dictionary, emotional, poetry, Al-Bahtari, language.

أصاب المعجمَ الشعريَّ للبحتري تجديدٌ ملحوظ في ألفاظه ومعانيه، بحكم انتمائه للعصر العباسي الذي شهد انتقالا حضاريا، ولا نعني بالتجديد والتطور الذي أصاب المعجمَ الشعري للبحتري الانسلاخَ من التراث الشعري القديم، بل نعني به الارتباطَ بالتراث القديم، والاقتداءَ بشعرائه ومحاكاتَهم، ومزجَه بالتطور الحضاري والثقافي، مِثلُه في ذلك مِثلُ الشعراء الوجدانيين جميعا، فقد "حرَص أصحاب هذا الاتجاه –كلٌّ حسَب طاقته وثقافته– على أن يَظلوا مرتبطين بالتراث الشعري القديم، موفِّقين بينه وبين طبيعة الحياة العصرية والتجربة الذاتية الجديدة. وقد قاموا في هذا المجال بدور كبير في تطور ألفاظ اللغة وأساليبِها، فأحيَوا كثيرا من الألفاظ القديمة وبثوا فيها حياة جديدة، وأغنَوا ألفاظ اللغة بكثير من الظلال والإيحاءات التي لم تكن لها من قبل، وابتكروا كثيرا من التعبيرات والتراكيب والصورِ المجازية، حتى أصبح لهم أسلوبٌ متميز يتعرف عليه المتلقي بسماته اللغوية والفنية الملحوظة"(١).

إن "المعجم الشعري من عناصر الشعر الأولى التي تتأثر بالتطور الحضاري، وإن لم يتخذ صورةَ تغيرٍ حاسم من مرحلة إلى أخرى... ومنذ أن بدأ الشعراء يتجهون إلى التجربة الذاتية ويهتمون بتصوير المشاعر والانفعالات ويلتفتون إلى مشاهد الطبيعة ويربطون بينها وبين وجدانهم أخذت طائفة كبيرةٌ من الألفاظ المحمَّلة بالدلالات الشعورية والجمالية تتردد في عبارتهم وصورهم، ممتزجةً أحيانا بألفاظ تقليديةٍ –وخالصة أحيانا– لطبيعة التجربة الوجدانية الجديدة"(٢).

ويعود الفضل في تشكيل المعجم الشعري لأي شاعر إلى البيئة بنواحيها السياسية والاجتماعية والثقافية، وكذلك إلى الموهبة والاستعداد الفطري الذي جُبل عليه الشاعر، وإلى طبيعة تجربته الذاتية. ولهذا فإن معجم أيّ شاعر إنما يتشكل من مجمل الألفاظ المهيمنة على كيانه، ومهما يكن من أمر اتصال هذا المعجم بلغة الشعراء السابقين له وبلغة شعراء عصره فإن الشاعر الوجداني يبقى على الدوام معبِّرا عن تجاربه الشعورية بلغته الخاصة التي تُميزه من غيره، وبالتالي يبقى لمعجمه خصوصيتُه.

(١)الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص٤٩١. وينظر: الاتجاه الوجداني عند شعراء النقائض في العصر الأموي، هويدا علي عطية البرش، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمياط، ٢٠١٧م، ص٢١٠.

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص٣٥٠.

وفيما يلي توضيح لأبرز الدوائر المعجمية الشعرية في وجدانيات البحتري.

أ- دائرة ألفاظ الحب وطيف الخيال:

يُعد البحتري من أبرز الشعراء الذين عاشوا تجربةَ الحب واستلهموا فكرتها، وكان ذلك في إطار رؤية ذاتيةٍ متكاملة، بدا فيها الشاعرُ ملتهبَ الوجدان.

١- الألفاظ الدالة على أوصاف المحبوبة:

وُجد في معجم البحتري اللغوي العديدُ من الألفاظ التي تعبر عن أوصاف حبيبته، بما يدل على حالة العشق والهَيام التي كان يعيشها الشاعر، من تلك الألفاظ (غَرَّاء- فَرْعاء) ليعبر عن بياضها وطولها[١]:

و «سُعادٌ» غَرَّاءُ فَرْعاءُ تَسْقِيـ ـكَ عُقَارًا من الثَّنايَا ٱلبُرَادِ

ومن تلك الأوصاف (حُمرة الخَدِّ) دلالة على إشراقها ونضارتها[٢]:

خَـــدٌّ يُعَضُّ لِحُمْرَةٍ تُفَّاحُهُ ، ويُشَمُّ وَرْدَهْ

و(عيونُها ساحرة) و(خدودُها وردية) دلالةٌ على فتنتها وطيب رائحتها[٣]:

إنَّ سِحْرَ ٱلعُيُونِ ضَلَّلَ لُبِّى وحَمَانِى الرُّقَـادَ وَرْدُ ٱلخُدُودِ

وهي امرأة (فاترة الطرْف) دلالةٌ على حيائها[٤]:

وفْتُورُ طَـــرْفٍ قد يُجِدُّ على ٱلمُتَيَّمِ ما يُجِدَّهْ

وهي (ثقيلة الأرداف) (خفيفة القدِّ) دلالة على حسنها واكتمال خلقتها[٥]:

مُتَفَاوِتُ ٱلحُسنَيْنِ : يَثْـ ـقُلُ رِدْفُهُ ويَخِفُّ قَدُّهْ

كما استعان البحتري بالألفاظ التي تبين مظاهرَ الزينة مثلَ (الحجول) التي تكون في رجل المرأة، فقال[٦]:

(١) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط٣، ٦١٩/١. (الخفيف)
(٢) الديوان، ٦١٤/١. (مجزوء الكامل)
(٣) الديوان، ٧٢٨/٢. (الخفيف)
(٤) الديوان، ٦١٤/١. (مجزوء الكامل)
(٥) الديوان، ٦١٤/١. (مجزوء الكامل)
(٦) الديوان، ١٨٢٣/٣. (الوافر)

مَشَيْنَ عَلَى خَمَائِل « ذِى طُلُوحِ » وقد ضَاقَتْ بما فيها ٱلحُجُولُ

والأوصاف السابقة مجتمعة ترسم صورة جمالية كلية عبر عنها الشاعر من خلال ألفاظ خاصة أعانته على التعبير عما بداخله من إعجاب ووَجد تجاه من أحب.

٢- الألفاظ الدالة على فراق الأحبة:

وُجد في شعر البحتري العديدُ من الألفاظ التي تدل على فراق محبوبته، من تلك الألفاظ (المغيب)(١):

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا بِٱلمَغِيبِ سَلاَمِى ؟ وهَلْ خُبِّرَتْ وَجْدِى بها وغَرَامِى ؟

واستعان بلفظة (العهد) ليتذكر الأيام الجميلة التي قضاها مع حبيبته "عَلوَة" التي ابتعدت عنه(٢):

عَهْدٌ لِعَلوةَ بِاللِّوَى قد أَشْكَلاَ ؛ ما كان أَحْسن مُبتَدَاهُ وأَجْمَلاَ !

واستعمل ألفاظ (الضنى- السَّقَام) للدلالة على شقائه بسبب بعدها عنه(٣):

وهَلْ عَلِمَتْ أَنِّى ضَنِيتُ ، وأَنَّها شِفَائِىَ مِنْ داءِ الضَّنَى وسَقَامِى

كما استعان بألفاظ (البكاء- الدمع- السح) ليعبر بها عن ألم الفراق، فقال(٤):

وباكيةٍ تَشكُو ٱلفِرَاقَ بِأَدْمعٍ تُبادِرُها سَحًّا كما ٱنْتَثَرَ ٱلعِقدُ

ولا يملك الشاعر بعد فراقها إلا أن يرسل لها (السلام) لعلها ترضى عنه(٥):

سَلَامُ ٱللهِ كلَّ صبَاحِ يَوْمٍ علَيْكَ ، ومَنْ يُبَلِّغُ لِى سَلَامِى ؟

٣- الألفاظ الدالة على الجفاء بين الأحبة ولوم العاذل:

اعتمد البحتري على عدد من الألفاظ الدالة على جفاء المحبوبة، من تلك الألفاظ (اللوم- الإشفاق- العتاب)، يقول(٦):

لامَتْ مَلاَمَةَ مُشْفِقٍ مُتَعَتِّبٍ ، وَسَطَتْ سَطِيَّةَ ناصحٍ لم يَكْذِبِ

(١) الديوان، ٢٠٠٠/٣. (الطويل)
(٢) الديوان، ١٦٥١/٣. (الكامل)
(٣) الديوان، ٢٠٠٠/٣. (الطويل)
(٤) الديوان، ٧٤٢/٢. (الطويل)
(٥) الديوان، ١٩٣٢/٣. (الوافر)
(٦) الديوان، ٣٤٠/١. (الكامل)

ويستعين بألفاظ (لج- الهَجْر- الصدود) للدلالة على هجرها وصدِّها[١]:

لى حبيب قد لَجَّ فى ٱلهَجْرِ جِدًّا وأَعادَ الصُّدودَ مِنْهُ وأَبْدَا

ومن ذلك استعمالُه ألفاظَ (الإخلاف- الجفاء- التأبي- المنع- البعد)[٢]:

ذو فُنُونٍ يُرِيكَ فى كلِّ يومٍ خَلَفــاً مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجَدًّا

يَتـأَبَّى مَنعاً ، ويُنْعِمُ إِسْعا فاً ، ويَدْنُو وَصْلاً ، ويَبْعُدُ صَدًّا

ويبرهن على جفائها من خلال ألفاظ (الرحمة- القسوة)، فيقول[٣]:

بَكَتْ أَعْيُنُ الناس لى رحمــةً وتَقْسُو علىَّ ، وأَنت الحَبيبُ !

وقد كان للعاذل نصيبٌ في شعر البحتري الوجداني، فهو يطارد البحتري ومعشوقته، ويلومه على هذا الحب، فيشكو الشاعر لهذا (اللاحي) حُرقةَ الحُب[٤]:

عَذِيرِى فِيكَ مِنْ لاَحٍ إِذا مَا شَكَوْتُ ٱلحُبَّ حَرَّقَنى مَلاَمَا

إن الألفاظ التي أتى بها البحتري ليعبر عن أساه ووَجدِه بينت مدى حرقة كبده جرَّاء هذا الحُب، حتى أصبح مصدرَ نقدٍ من اللُّوام.

٤- ألفاظ الطيف:

استعمل البحتري لفظةَ (الطيف) التي جاءت لتشفي القليلَ من آلام الجَوَى التي يعيشها الشاعر، فقال[٥]:

طَيْفٌ أَلَمَّ فَحَيَّا عِنْدَ مَشْهَدِهِ قدْ كان يَشْفِى ٱلمُعنَّى من تَلَدُّدِهِ

وقد يشير إلى الطيف بلفظة (الخيال)[٦]:

خَيَالٌ يَعْتَرِينى فى ٱلمنَامِ لِسَكْرَى ٱللَّحْظِ فاتِنَةِ ٱلقَوَامِ

ويأتيه الطيف في الأماكن (المقْفِرة)[٧]:

(١) الديوان، ٧١١/٢. (الخفيف)
(٢) الديوان، ٧١١/٢. (الخفيف)
(٣) الديوان، ٣١٥/١. (المتقارب)
(٤) الديوان، ٢٠٠٨/٣. (الوافر)
(٥) الديوان، ٤٩٨/١. (البسيط)
(٦) الديوان، ١٩٣٢/٣. (الوافر)
(٧) الديوان، ١٠١٧/٢. (الكامل)

طَيْفٌ أَلَمَّ بنا ونَحْنُ بِمَهْمَه قَفْرٍ يَشُقُّ على ٱلمُلِمِّ ٱلخاطر

ويذكر الشاعر الألفاظَ الدالة على وقت زيارة الطيف، ومنها (الصبح)(١):

طارِقٌ أَرْهَقَ الزِّيارةَ والصُّبْـ ـحُ مُطِلٌّ ، أَوْ قَدْ دَنَا إِطْلاَلُهْ

وقد تكون زيارة الطيف وقت (الدُّجى)(٢):

[فَكَمْ فى الدُّجٰى من فَرْحَةٍ بِلِقائِها ومِنْ تَرْحَةٍ بـٱلبَيْنِ منها لَدَى ٱلفَجْر !]

والهدف من زيارة الطيف تجديدُ هوى الشاعر والتغلب على (الهجران بالوصل)(٣):

أَقامَتْ عَلَى ٱلهِجْرانِ ما إِنْ تَجُوزُهُ ، وخَالَفَها بـٱلوَصْلِ طَيْفٌ لَهَا يَسْرى

ويتلذذ الشاعر بهذا الطيف فيرحب به من خلال عبارة (أهلا بزائرنا)(٤):

أَهْلاً بِزَائِرِنَا ٱلمُلِمِّ لو أَنَّهُ عَرَفَ ٱلَّذى يَعْتَادُ مِنْ إِلْمامِهِ !

من خلال ما سبق يتبين مدى توفيق البحتري في اختيار ألفاظه المعجمية الوجدانية الدالة على الحُب وأحواله، حيث وضعها في سياقها الدلالي، فجاءت معبرةً عن رؤية الشاعر لذاته ومحبوبته، وحققت الغايةَ من وجودها.

ب- دائرة ألفاظ الطبيعة:

لفتت الطبيعة بمناظرها البديعة نظرَ البحتري، فمثَّلت نبعا فياضًا لإلهامه، وقد أجاد البحتري وصفَ الطبيعة بنوعيها الصامت والصائتِ، ولم يكتف بالحدود الحسية في الوصف، بل انغمس فيها وانفعل معها، ومال لتشخيصها ومشاركتِها أفراحه وأحزانَه، فجاءت رؤيته للطبيعة تعكس بوضوح دوافعَه المكنونةَ، ومشاعرَه الداخلية.

١- ألفاظ الطبيعة الصامتة:

كانت الأزهار والبساتين من أجمل المناظر إلى قلب البحتري، فيستخدم ألفاظ (الرياض- النور-السُّندس) تعبيرا عن جمال ما وقع عليه نظره(٥):

هٰذِى الرِّياضُ بَدَا لِطَرْفِكَ نَوْرُها فـأَرَتْكَ أَحْسَن من رِيَاطِ السُّنْدُسِ

(١) الديوان، ١٨٣٢/٣. (الخفيف)
(٢) الديوان، ١٠٠٤/٢. (الطويل)
(٣) الديوان، ١٠٠٤/٢. (الطويل)
(٤) الديوان، ١٩٨٨/٣. (الكامل)
(٥) الديوان، ١١٧٩/٢. (الكامل)

كما استخدم (التِّبر – الزُّمُرُّد) دلالةً على كثرة ألوانها[١]:

وأَرَتْكَ كافُورًا وتِبْرًا مُشْرِقاً فى قائم مثْلِ الزُّمُرُّدِ أَمْلَسِ

واستخدم (المسك) دلالةً على طيب رائحتها[٢]:

مُتَحَلِّياً مِنْ كلِّ حُسْنٍ مُونِقٍ ، مُتَنَفِّساً بـالمِسْكِ أَىَّ تَنَفُّسِ

وهذه الرياض يكسو أوراقَها (لؤلؤُ الطَّل)[٣]:

تَرَوَّتْ بِدَاراتِ ٱلغَمَامِ وقد سَرَى فَنَظَّمَ فى أَوْرَاقِها لُؤْلُؤَ الطَّـلِّ

وقد تحلَّت الرياض (باليواقيت) التي انتشرت على وجهها في منظر بديعٍ من زَهر النوَّار[٤]:

تُرِيكَ ٱليَوَاقِيتَ مَنْثُورَةً وَقَدْ جَلَّلَ النَّوْرُ ظُهْرَانَها

ومن تفاعله مع الطبيعة الصامتة استخدامُ زَهر (النَّرْجس) تعبيرا عن جمال محبوبته[٥]:

فى زَمَانٍ كأَنَّ نَرْجِسَهُ ٱلغَضَ ضَّ سُمُوطٌ من لُؤْلُؤٍ وفَرِيدِ

كما استخدم زَهر الرُّمان (الجُلَّنار) كنايةً عن شدة احمرار خدود المحبوبة[٦]:

وٱلخُـدودِ ٱلحِسَانِ يَبْهَى عليها جُلَّنَارُ الرَّبيعِ ظَلْقاً وَوَرْدُهْ

ويهيم وجدانيا بأشجار (الزيتون– النخيل) فيصف جمالَ إحدى حدائق العراق بقوله[٧]:

حَيْثُ باتَ الزَّيتونُ مِنْ فَوْقِهِ النَّخْـ ـلُ عَلَيْهِ وُرْقُ ٱلحَمَامِ تَغَنَّىٰ

ويشير إلى (الربيع) الضاحك المختال في حسنه بقوله[٨]:

أَتاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضاحِكاً مِنَ ٱلْحُسْنِ حَتَّى كادَ أَن يَتَكَلَّمَا

(١) الديوان، ١١٧٩/٢. (الكامل)
(٢) الديوان، ١١٨٠/٢. (الكامل)
(٣) الديوان، ١٩١١/٣. (الطويل)
(٤) الديوان، ٢١٧٦/٤. (المتقارب)
(٥) الديوان، ٧٣٠/٢. (الخفيف)
(٦) الديوان، ٥٠٩/١. (الخفيف)
(٧) الديوان، ٢١٤٧/٤. (الخفيف)
(٨) الديوان، ٢٠٩٠/٤. (الطويل)

وكما احتفى البحتري بألفاظ الرياض والربيع في شعره الوجداني نجده يتغنى بألفاظ المياه، باعتبار الماء مصدر الحياة الذي وهبه الله لجميع الكائنات، فيذكر العديد من الألفاظ الدالة على الماء، ومنها (الغيث)، فحين يفتخر بقومه لا يجد شيئا يشبههم أفضل من الغيث، فهم يسرعون بتقديم العطاء للناس في وقت ضن (السحاب) عليهم (بالقطر)[١]:

وأنَّا لُيُوثٌ حِينَ تَشْتَجِرُ القَنَا غُيُوثٌ إذا ضَنَّ السَّحَائبُ بالقَطْرِ

وحين يتغزل يشبه وقع حديث المحبوبة بـ (الوابل) جاد به (الغمام) على أرض شديدة المحل[٢]:

وحَدِيثها ، كالغَيْثِ جادَ بوَبْلِهِ فى حادِثِ المَحْلِ الشَّدِيدِ ، غَمَامُ

وأشار إلى (النهر) الذي شقه الخليفة المتوكل ليصل به بين قصري الجعفري والساج، فقال[٣]:

ووَصَلْتَ بَينَ «الجَعْفَرِيِّ» وبَيْنَهُ بالنَّهْرِ يَحْمِلُ من جُنُوبِ الخَنْدَقِ

و(البركة) من الألفاظ الدالة على الطبيعة المائية في وجدانيات البحتري، يقول[٤]:

يامَنْ رأى البِرْكَةَ الحَسْنَاءَ رُؤْيَتَهَا والآنِسَاتِ إذا لاحَتْ مَغَانِيهَا

ومن الألفاظ التي استهوت البحتري في وصف الطبيعة الصامتة لفظة (الليل)، فهو يمثل حالة شعور بالخوف حين يصفه البحتري بقوله[٥]:

وَلَيْلٍ كأنَّ الصُّبْحَ فى أُخرَيَاتِهِ حُشَاشَةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفْرَنْده غِمْدُ

في حين تأخذ لفظة (الليل) بُعدًا آخر عندما تشع بحالة من السعادة الغامرة، عندما يحضُره طيف المحبوبة فيفضله على (الصبح) ويخشى سرعةَ انقضائه، يقول[٦]:

ما زِلْتُ فى حَسَناتِ الليلِ فى مَهَلٍ حتى أساءتْ عُيونُ الصُّبْحِ إزعاجى

وهكذا تغدو لفظةَ (الليل) رمزًا لكثير من المشاعر الوجدانية المتناقضة.

(١) الديوان، ١٠٨٣/٢. (الطويل)
(٢) الديوان، ٢١١١/٤. (الكامل)
(٣) الديوان، ١٤٨٣/٣. (الكامل)
(٤) الديوان، ٢٤١٦/٤. (البسيط)
(٥) الديوان، ٧٤٢/٢. (الطويل)
(٦) الديوان، ٤٣٢/١. (البسيط)

وقد يتخذ لفظةَ (البدر) وسيلةً للمناجاة أثناء الليل على طريقة الوجدانيين، فيقول[١]:

إذْ ضَارَعَ ٱلبَدْرَ فى حُسْنٍ وفى صِفَةٍ وطالَعَ ٱلبَدْرَ فى وَقْتٍ ومِقْدَارِ

ويتخذ ألفاظَ (الشمس- الهلال) أداةً لوصف جمال محبوبته، فيقول[٢]:

شَوْقاً إلىٰ رَشَإٍ لا الشَّمْسُ تُشْبِهُهُ ولا ٱلْهِلاَلُ إذا تَمَّتْ لَيَالِيهِ

وهكذا تعددت الألفاظ الدالةُ على الطبيعة الصامتة في معجم البحتري الوجداني، وقد برَع الشاعر في توظيفها، فأضفى عليها رُوحًا من روحه وحياة من حياته، ومزجها بعناصرَ حيويةٍ تُضفي عليها حركة، فبدت الطبيعة الصامتةُ ذاتا ناطقةً تناجيه، وكانت الألفاظ وسيلتَه في ذلك بدلالاتها الإيحائية المتنوعة.

٢- ألفاظ الطبيعة الصائتة:

وكما اهتم البحتري بألفاظ الطبيعة الصامتة في معجمه الوجداني، اهتم -أيضا- بألفاظ الطبيعة الصائتة، وكان مشهدُ الحيوان عند الشاعر فنًّا تعبيريا غنيا بالتلوين والتنوُّع، حيث وقف عند أشهر الحيوانات الأليفة وغير الأليفة. وحقيقةً إن هذا التقسيم لم يكن يشغل وجدانَ الشاعر، وما كان يشغله هو ما تمليه عليه حواسه، وما يُثير عاطفته في ذلك العالم.

وقد تعددت ألفاظ الحيوانات الأليفة في شعر البحتري الوجداني، كالناقة والخيل والغنم وغيرها، فاستخدم لفظ (العَلَنْدَاة) لأنثى البعير الضخم مبرزًا قوتها وسرعتَها[٣]:

وما صاحبى إلاَّ ٱلحُسَامُ وَبَزُّهُ ، وإلاَّ ٱلعَلَنْدَاةُ ٱلأَمُونُ وَكُورُها

وفي موضع آخر يطلق عليها (القلاص) تعبيرا عن طولها وتحمِلِها شدةَ الأسفار[٤]:

وَخَدَانُ ٱلقِلاَصِ حُولاً إذَا قَـا بَلْنَ حُولاً مِنْ أَنْجُمِ ٱلأَسْحَارِ

ويصف الخيل (بالشوائل) دلالة على سرعتها ومضائِها في ساحات المعارك، فيقول[٥]:

بَطَلٌ يَخُوضُ الخَيْلَ ، وهى شَوائِلٌ خَلْفَ الأَسِنَّةِ ، وهو غيرُ مُدَجِّجِ

(١) الديوان، ٨٥٨/٢. (البسيط)
(٢) الديوان، ٢٤٤٤/٤. (البسيط)
(٣) الديوان، ٩٩٩/٢. (الطويل)
(٤) الوخدان: إسراع الإبل. والقلاص: الإبل الطويلة. الديوان، ٩٨٧/٢. (الخفيف)
(٥) الديوان، ٤٠٢/١. (الكامل)

ويستعمل ألفاظَ (أغر – محجَّل) دلالةً على كرم أصل فرسه، وأنه أهل لدخول المعارك والحروب، فيقول(١):

وأَغَرَّ فى الزَّمَنِ ٱلبَهِيمِ مُحَجَّلٍ قد رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَـرَّ مُحَجَّلِ

وكانت أفكاره تدور حول كون الغنم متخاذلةً عاجزة لضعفها، فاستخدم لفظةَ (ربيضًا) دلالةً على ضعف بني عثمان في مواجهة أعدائهم، فقال(٢):

وكُنْتُمْ بَعْدَ عَبْدِكُمُ «نَظِيفٍ» رَبيضاً أُطْلِقَتْ فيهِ السِّبَاعُ

ومن الحيوانات غير الأليفة استعمل لفظة (الذيب) التي جاءت كوسيلة للإيقاع بالنساء، فقال(٣):

لم أَرَ كالثَّغْرِ الأَغفَـالِ سائمةً مِنَ الحَبَلَّقِ لم تُحْفَظْ مِنَ الذِّيب

واستخدم لفظة (الضيغم) مثالا للسمو والعظمة، ورمزًا للبطش والسيطرة، فقال(٤):

حتى تَقَنَّصَ فى أَظافِرِ ضَيْغَمٍ مَلأَتْ هَمَاهِمُهُ ٱلقلوبَ وَجيبَا

وقد استعان (بالظباء) لما تحمله من دلالة رمزية على جمال المحبوبة، فقال(٥):

وَظِبَاءِ هِيفٍ تَجِلُّ عن التَّشْ بِيهِ فى ٱلحُسْنِ بالظِّباءِ ٱلْهِيفِ

كما وردت ألفاظ تدل على الطيور التي عايشها الشاعر، والتي كان لها تأثير كبير في وجدانه، من تلك الألفاظ (الأجادل) رمزًا للقوة والسرعة (٦):

كأَنَّها وٱلحَبْلُ فى صُدورِهـا أَجـادِلٌ تَنْهَضُ فى سُيُورِها

واستخدم لفظة (الغراب) علامةً على الشُّؤم وفراق الأحبة، فقال(٧):

زَعَمَ ٱلْغُرابُ مُنَبِّئُ الأَنباءِ أَنَّ ٱلأَحِبَّةَ آذَنُوا بِتَنَاءِ

واستخدم لفظتي (البوم– الهام) ليعبر من خلالهما عن الخراب الذي حل بأرض الأعداء، فقال(٨):

(١) الديوان، ١٧٤٤/٣. (الكامل)
(٢) الديوان، ١٢٦١/٢. (الوافر)
(٣) الديوان، ٩٤/١. (البسيط)
(٤) الديوان، ١٨٦/١. (الكامل)
(٥) الديوان، ١٣٦٣/٣. (الخفيف)
(٦) الأجادل: نوع من الصقور. الديوان، ١٠٤٤/٢. (الرجز)
(٧) الديوان، ٥/١. (الكامل)
(٨) الهام: نوع من البوم الصغير. الديوان، ٢١٣٨/٤. (الرجز)

يَصْدَحُ فِيهِ هامُهُ وبُوَمُهْ وقد تَرَدَّىٰ بالسَّرَابِ أَكَمُهْ

واستعان (بهديل الحمام) ليعبر عن ألمه لفراق من أحب، فقال[1]:

وهَيَّجَ شَوْقِي سَاقُ حُرٍّ أَجــابَهُ هَدِيلٌ عَلَى غُصْنٍ من ٱلْبَانِ أَفْرَعَا

يتضح من ألفاظ معجم الطبيعة الصائتة أن الشاعر قد وفّق في استخدام الألفاظ ذات الدلالات المناسبة لحالاته الشعورية، والمعبرة عن مكنونات نفسه، حيث وظَّف الألفاظ بدلالات تزيد على الدلالات التي ينص عليها المعجم اللغوي، فأكسبها في سياقها الجديد دلالاتٍ جديدة، فمثلًا ميلُه للإكثار من عنصر (الناقة) يوحي بإصرار الشاعر على تحمل المشاق للوصول إلى أرض الممدوح أو المحبوبة، وكذلك وصفه لمحاسن (الظباء) ما هو إلا رمز لجمال المحبوبة، واستخدام ألفاظ (الوحوش) رمزٌ للقوة والشجاعة، و(الغراب) و(البوم) رمزٌ للشؤم لفراق الأحبة، و(هديل الحمام) بكاءٌ بسبب هذا الفراق. إن تركيز البحتري على ألفاظ معينة من أسماء الحيوانات والطيور له دلالتان، إحداهما حقيقية والأخرى وجدانية، وهذه الأخيرة بطبيعة الحال هي الأكثر حضورا في وجدانيات الشاعر.

جـ- دائرة ألفاظ الاغتراب:

توزعت موضوعات الغربة والحنين في وجدانيات البحتري بين تذكر الوطن والتشوق إلى معالمه، والشكوى من الابتعاد عن الأهل والأحباب والأصدقاء، وتوجيه العتاب للذات على اختيار الاغتراب، وتصويرِ الحسرات التي يعاني منها الشاعر، وقد تجسَّد ذلك في بثِّ التجارب الذاتية للشاعر في ديار الغُربة، وتصويرِ ذكريات الصبا، وتفاصيل أيامه وعهودِه السعيدة في دياره.

١- ألفاظ الغربة والحنين إلى الوطن:

من المعلوم أن البحتري ترك موطنه الأولَ (منبج) ورحل إلى العراق أملًا في الشهرة وسَعة العيش، لكنه بعد فترة من الزمن حنَّ إلى موطنه الأول، فاستعمل ألفاظ (تَركي- اختياري- مُريد) ليبين مدى المعاناة التي عاشها بسبب ترك موطنه، فقال[2]:

وما تَرْكِي «لِمَنْبِجَ» وٱخْتِيارِي «لِرأْسِ ٱلعَيْنِ» فِعْلٌ مِنْ مرِيدِ

(١) الديوان، ١٣٣١/٢. (الطويل)
(٢) الديوان، ٦٨١/٢. (الوافر)

ويتخذ من (خاطر الشوق) أداة تعبيريةً عن المعاناة النفسية التي يَشعر بها جرَّاء اغترابه[١]:

وخاطِرِ شوقٍ ما يَزَالُ يَهِيجُنا لِبَادِينَ من أَهْلِ « الشَّآمِ » وحُضَّرِ

ويؤنب نفسَه على عدم رضاها (بمقسوم حظها) من الحياة واغترابِها طلبًا للمزيد[٢]:

وَلَوَ أَنِّى رَضِيتُ مَقسُوم حَظِّى لَكَفَانِى مِنَ ٱلكَثِيرِ ٱلقَلِيلُ

إن المكان في الأبيات السابقة قد تحول إلى تجربة شعورية توحي للشاعر بالماضي المشرق والذكريات السعيدة، فتكرار الألفاظ الدالة على حالة الحنين إلى الوطن تؤكد الأفكارَ التي تلح على وعْي الشاعر، وتقدم رؤيةً وجدانية للتعبير عن اللحظات التي يحاول أن يستعيدَها.

٢- ألفاظ الغربة والحنين إلى المحبوبة:

من المعلوم أن البحتري قد أحب في موطنه فتاةً تسمى "عَلوَة"، وظلت ذكراها لا تبرح ذاكرتَه بعد أن ترك موطنَه واتجه إلى العراق أملًا في الرفعة وسعة العيش، لكن ظل حبها راسخًا في وجدانه، فعبر عن هذا الحب وتلك الذكريات بالعديد من الألفاظ التي تثير الشَّجَن والأسى على ألَم الفراق، منها (أليف- أصطفيه)[٣]:

وَلِى بَيْنَ ٱلقُصُورِ إِلَى « قُوَيْقٍ » أَلِيفٌ أَصْطَفِيهِ ويَصْطَفِينِى

ويتذكرها (في كل وقت) وطيفُها يطرق خيالَه (في كل حين)[٤]:

يُعَارِضُ ذِكْرُهُ فِى كلِّ وَقْتٍ ، ويَطْرُقُ طَيْفُــهُ فى كُلِّ حِينِ

ويبكي على فراقها بـ (الدمع الهَتُون)[٥]:

بعَيْنِكَ لَوْعَــةُ ٱلقَلْبِ الرَّهِينِ وَفَرْطُ تَتَابُعِ الدَّمْعِ ٱلهَتُونِ

ويستخدم ألفاظ (البكاء- الفراق- ولَّت) ليعبر عن ألم الاغتراب عن حبيبته[٦]:

(١) الديوان، ٩٨١/٢. (الطويل)
(٢) الديوان، ١٧١١/٣. (الخفيف)
(٣) الديوان، ٢٢٦٧/٤. (الوافر)
(٤) الديوان، ٢٢٦٧/٤. (الوافر)
(٥) الهتون: المنصب. الديوان، ٢٢٦٦/٤. (الوافر)
(٦) البازل: أقصى أسنان البعير. الديوان، ١٥١٩/٣. (الوافر)

بَكيْتُ من ٱلفِرَاقِ غَدَاةَ وَلَّتْ [بِنَا] بُزْلُ ٱلجِمَالِ عَلَى ٱلفِرَاقِ

إن البحتري في اغترابه دائمُ الشوق والحنين إلى أحبته، فظهرت على ألفاظه سمةُ التركيز العاطفي والوجداني، واتسمت بالبساطة والمصداقية، لأنها عبرت عن شاعر مغترِب صادقِ العاطفة.

٣- ألفاظ الغربة والحنين إلى الأصدقاء:

وكما ذَكر الشاعر ألفاظا تدل على ألم الاغتراب عن الوطن والمحبوبة، أورد العديدَ من الألفاظ التي تعبر عن الفَقد والابتعاد عن أصدقائه، من تلك الألفاظ (مخَلف- ظاعِن- شاهد- مُغيّب) فقد أورد الشاعر هذه الألفاظَ ليعبر عن أساه من ابتعاد صديقه الفتح بنِ خاقان عنه، فقال(١):

أَمُخَلِّفِي يا فَتْحُ أَنت وظاعِنٌ فى الظَّاعِنِين ، وشاهِدٌ ومُغَيِّبِي ؟

وفي مكان آخر يتذكر صديقه (وصيفًا) وقد نفي إلى أحد ثغور الشام، فحزِن البحتري حزنا كبيرا على فراقه، فاستعمل ألفاظ (الهائم- الصبّ- دموعي- سَكب)، وكلها ألفاظ تتسم بالسهولة والقرب من الفهم، وفي نفس الوقت دالةٌ على حالة الحزن والشجَن التي يعيشها الشاعر نتيجةَ فراق صديقه، فقال(٢):

ذَكَرْتُ «وَصِيفاً» ذِكْرَةَ الهائمِ الصَّبِّ فأَجْرَيْتُ سَكْباً من دُموعى على سَكْبِ

وإذا كان اغتراب الأصدقاء والبعد عنهم يبعث الشجنَ والأسى، فإن موتهم يَزيد من هذا الشَّجَن، فتراه يذكر العديدَ من الألفاظ التي تعبر عن أساه وأشجانه لفراق صديقه، وربيبِ نعمته الخليفة المتوكل، فتذكَّره بألفاظ (نَوبَة- ناهي الدهر- آمرُه) يقول(٣):

وأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فى كلِّ نَوْبَةٍ تَنُوبُ ، ونَاهِى الدَّهْرِ فيهمْ وآمِرُهْ؟

وأصبح القَصْرُ (مقبرةً) بعد موت الخليفة(٤):

تَحَمَّلَ عنهُ ساكِنُوهُ فُجَاءَةً فَعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ ومَقَابِرُهْ

(١) الديوان، ١٤١/١. (الكامل)
(٢) الديوان، ١٣٩/١. (الطويل)
(٣) الديوان، ١٠٤٧/٢. (الطويل)
(٤) الديوان، ١٠٤٦/٢. (الطويل)

وحل به (الأسى) بعد البهجة[١]:

إذا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لنا الأَسَى وقد كان قَبْلَ اليوم يَبْهَجُ زائرُهْ

إن الألفاظ التي حشدها الشاعر تعبيرا عن فراق الخليفة قد حمَلت الكثيرَ من الدلالات المتشحةِ بالسواد، والحافلة بالأسى والحزن، لتوضح بشدة عمقَ الألم والمعاناة التي تقوقع الشاعر بداخلها، فأظهرت تلك الألفاظُ لونا قاتمًا من الإحساس بالاغتراب وَفقا لرؤية الشاعر الوجدانية.

لقد عانى الشاعر تجربةً اغترابية أليمة، وهيَّجت إحساسَه وفجَّرت عنده مكامنَ الإبداع، فكان ذلك الشعر المؤثرُ بدلالاته وإيحاءاته، حملته ألفاظٌ وجدانية سلِسة معبِرةٌ عن الموقف بكل اقتدار.

د- دائرة ألفاظ "الأنا" والآخر:

تجلت ذات البحتري في وجدانياته، فعبر من خلالها عن مكنونات نفسِه ودواخلها، وقد تباينت صورة هذه الذات تبعًا لاختلاف التجارب، والمواقف التي تأثر بها الشاعر وتفاعل فيها مع الآخر.

١- ألفاظ الفخر الذاتي والجمعي:

استعان البحتري بالعديد من الألفاظ التي أعانته على إبراز رؤيته الوجدانية في الاعتزاز والفخر بذاته، من تلك الألفاظ (الحَزم- العَزم- الجُود- الوَفر)[٢]:

وما الحَزْمُ إلاَّ العَزْمُ فى كلِّ مَوْطِنٍ ، وما المالُ إلاَّ مَعْدِنُ الجُودِ والْوَفْرِ

وهو (مهيب) كنصْل السيف[٣]:

مهيباً كَنَصْلِ السَّيْفِ لو قُذِفَتْ بهِ ذرى «أَجَإٍ» ظَلَّتْ وأَعْلامُهُ وهْدُ

ويفتخر بسيفه (العَضب) (الصارم) (طويل النِّجاد) الذي هو مصدر قوته[٤]:

ولِي صاحِبٌ عضبُ المَضارِبِ صارِمٌ طويلُ النجَادِ ما يُفلُّ لهُ حدُّ

(١) الديوان، ١٠٤٦/٢. (الطويل)
(٢) الديوان، ١٠٨٢/٢. (الطويل)
(٣) أجاء: أحد جبال طيئ. الديوان، ٧٤٢/٢. (الطويل)
(٤) الديوان، ٧٤٢/٢. (الطويل)

ويحتفي بقوافي شعره، فهي (مشرقة- بهية- حسنةُ النَّظم)[١]:

ومُشْرِقَةٍ فى النَّظْم غرًّا يزِيدُهَا بَهَاءً وحُسْناً أَنَّها لكَ تُنْظَمُ

وألفاظ الفخر القَبَلي كان لها نصيبٌ وافر في شعر البحتري الوجداني، فقد كانت معاني الفخر المنبثق من روح العصبية القبلية محصورة في ألفاظ عراقة الأصل والشجاعة والكرم والحلم والتغني بمآثر أهله وعشيرته، فمن تلك الألفاظ التي تغنى بها البحتري أن قبيلته "طيئ" عرفت (بالبأس والجود)[٢]:

ذَهَبَتْ «طَيِّئٌ» بِسَابِقَةِ ٱلمَجْ دِ على ٱلعَالَمِينَ : بَأْساً وجُودَا

وبلدته تنبت (المعالي) وأطفالُها (يسودون) الجميع[٣]:

بَلَدٌ يُنْبِتُ ٱلمَعَالِي فَما يَشْـ ـغِرُ الطِّفْـلُ فيهِ حتَّى يَسُودَا

ورجال قبيلته مثل (الليوث- الغيوث) يتصفون (بالمجد)[٤]:

وَلُيُوثٌ من «طَيِّئٌ» ، وغُيُوثٌ لَهُمُ ٱلمَجدُ : طارِفاً وتَلِيدَا

ويبدو من خلال عرض أشعار الفخر الذاتي والجمعي اقترانُ أفعال الفخر بضمير المتكلم "الأنا" أو المتكلمين (القبيلة أو القوم) الذين يفخر بهم الشاعر، وأحيانا ينتقل الشاعر بين (أنا) و(نحن) حيث يرى عدم انفصال ذاته الفاخرة عن الذات القومية الفاخرة. وقد وفّق البحتري في اختيار معجم ألفاظ الفخر فجاءت ألفاظُه جزلةً قوية متينةَ السَّبْك، معبرةً عن الحماسة والشموخ والعزة، لتناسب الحالة النفسيةَ التي يشعر بها. والحق أن هذا اللونَ من الشعر ليس شعرَ قوة واعتزاز فحسب، بل تغنى فيه الشاعرُ بكل ما في النفس البشرية من كريم الشيم وسمو الأخلاق، فكان اعتزازه نَموذجا تصويريًّا للحياة التي اكتملت ملكاتُها الماديةُ والمعنوية في ظل قومه وعشيرته.

(١) الديوان، ١٩٣١/٣. (الطويل)
(٢) الديوان، ٥٩٢/١. (الخفيف)
(٣) الديوان، ٥٩٣/١. (الخفيف)
(٤) الديوان، ٥٩٣/١. (الخفيف)

٢- ألفاظ الآخر الاجتماعي:

جاء في وجدانيات البحتري العديدُ من قصائد المدح، وهو غرضٌ يتَّسم بجزالة الألفاظ ورصانتها، وذلك لأنه يخاطب طبقةً خاصةً من الخلفاء والأمراء والقادة، فالمتوكل (عالي القدر- معظم- عزيز النفس)(١):

يَعْلُو بِقَدْرٍ فى ٱلْقُلُوب معظَّم أَبَدًا ، وعِزٌّ فى النُّفوس جديدِ

وتَمدح "الأنا" الشاعرةُ الآخرَ الاجتماعي، فتبين شجاعتَه التي تضاهي شجاعةَ (الضيغم الضرغام)، وكرمَه مثلَ الوابل الداني من (الدِّيمة)، يقول في مدح الفتح بنِ خاقان(٢):

أَو الضَّيْغَمُ الضِّرْغَامُ يَحْمِى عَرِينَــهُ أَوِ الوابِلُ الدَّانى مِن الدِّيمَةِ السَّحِّ؟

ويصفه (بالإجلال والهيبة والتقوى والتواضع)(٣):

يُبَجَّلُ إِجْلَالاً ، ويُكْبَرُ هَيْبَــةً أَصِيلُ ٱلحِجَى فيهِ تُقًى وتَواضُعُ

وألفاظ شعر الهجاء تدور حولَ مظاهر الدعابة والغفلة وسرعة البديهة، واللعبِ بالألفاظ والكدية والتطفل والتهكم، وكان من الطبيعي أن يدور معجم البحتري الهجائي حول تلك الموضوعات والمعاني المتصلة بها، وأن تصدر عنه ألفاظٌ وتراكيبُ أقربُ إلى لغة العامة منها إلى لغة الملوك والأمراء. من ذلك اتهامُه الآخر بأنه (وَغْد) لأنه تطاول على الشاعر(٤):

قد أَهْدَفَ ٱلغَثُّ ٱلعَمِى لَوْ لَمْ يَكُنْ وَغْدًا ، وَلَيْسَ ٱلْوَغْدُ مِن أَهْدَافى

وينعته (بالشقي) و(قتيل أَيْر) بسبب سرقته للأشعار، فيقول(٥):

بات الشَّقِىُّ قَتِيلَ أَيْرٍ بَعْدَ مــا آلَ ٱلهِجَاءُ بهِ قَتِيلَ قَوَافِ

ولم يكتف الشاعر بهذا الهجاء، فوصفه (بالحِمار)(٦):

(١) الديوان، ٦٩٩/٢. (الكامل)
(٢) الديوان، ٤٤٥/١. (الطويل)
(٣) الديوان، ١٣٠٣/٢. (الطويل)
(٤) الديوان، ١٤٣٢/٣. (الكامل)
(٥) الديوان، ١٤٣٢/٣. (الكامل)
(٦) الإقراف في الفرس: أن تكون أمه عربية وأبوه غير ذلك. الديوان، ١٤٣٣/٣. (الكامل)

وجَرَيْتَ تَطْلُبُنى فَرَدَّكَ خائباً حَسبُ ٱلحِمارِ وكَبْوَةُ ٱلإِقْرَافِ

والآخَر المهجوُّ لا ينال المعالي والمناصب إلا عن طريق (أمه البغيضة)(١):

نِلْتَ ما نِلْتَ يا بَغيض بأُمٍّ هى أعطتْكَ رُتْبَةَ الوزراء

٣- ألفاظ الآخر الثقافي:

إن طبيعة اللغة العربية قادرةٌ على استيعاب الألفاظ الأعجمية والمعرَّبة والدَّخيلة، فقد أخذ العرب عن الفرس وغيرِهم الكثيرَ من الألفاظ التي يضيق الحصرُ بها، ونظرًا لأن عصر الشاعر قد تعددت فيه مناهلُ الثقافة ومشاربُها بتعدد الأجناس الداخلة في الإسلام، فقد ورد في معجم البحتري الكثيرُ من الألفاظ الأعجمية، وهذا إن دل فإنما يدل على ثقافة الشاعر المتنوعة الروافد.

فمن الألفاظ الفارسية في معجمه الوجداني (الإفرند) وتعني جوهرَ السيف(٢):

فَلَلسَّيفُ مَسْلُولاً أَشَدُّ مَهَابَةً وأَظْهَرَ إِفْرِندًا من السَّيف مُغْمَدَا

ولفظةُ (الإيوان) وتعني المجلسَ الكبير(٣):

وإذا ما أشارَ هَبَّتْ صَبَا ٱلمِسْـ ـكِ ، وخِلْتَ ٱلإِيوانَ من كافُورِ

ولفظةُ (البريد) وتعني الدابة التي تحمل الرسائلَ(٤):

صَكَكْتَ على «سُلَيْمَانَ بن وَهْبٍ» «أبا حَسَنٍ» بدِيوان ٱلْبَرِيدِ !

ولفظةُ (البنود) وتعني الأعلامَ الكبيرة(٥):

عالِمًا أَنَّ رايَةَ النَّصرِ لا تُرْ فع إلاَّ مـع ٱلبُنُودِ السُّود

كما وردت بعضُ الألفاظ الرومية، مثلُ (الدُّمُسْتُق) وتعني قائد جيش الروم(٦):

وقد أَزْعَجتْ خَيْلَ «الدُّمُسْتُقِ» خَيْلُهُ كما أَزْعَج ٱلْعَامَ ٱلمُجَرَّمَ قابِلُهْ

ولفظةُ (البِطْرِيق) ومعناها: القائد(٧):

(١) الديوان، ٤٢/١. (الخفيف)
(٢) الديوان، ٦٧٣/٢. (الطويل)
(٣) الديوان، ٨٨٦/٢. (الخفيف)
(٤) الديوان، ٧٨٢/٢. (الوافر)
(٥) الديوان، ٧٢٩/٢. (الخفيف)
(٦) الديوان، ١٨٧٩/٣. (الطويل)
(٧) الديوان، ٨٧٩/٢. (الطويل)

ولم يَبْقَ بِطْرِيقٌ له مِثْلُ جُرْمِهِ «بِـأَرَّانَ» إلاَّ عازِبُ ٱللُّبِّ طائرُهْ

كما وردت بعضُ الألفاظ اليونانية في شعره، مثل (الإبريز) وتعني الذهبَ الخالص[١]:

فَلَوْ صُوِّرْتَ من شيءٍ سِوَى النَّاسِ إذًا كُنْتَ . من ٱلعِقْيَانِ إبْرِيزَا

ولفظةُ (خِلْيَاق) وتعني الآلةَ الموسيقية ذاتَ الأوتار[٢]:

وأَحسِبُ أَنَّك مُخْفٍ رِضًى وقد راسَلَتْهُمْ بِخِلْيَاقِها

كما وردت بعض الألفاظ المصرية القديمة، مثل (الأسطول) وتعني جمعًا من المراكب الحربية[٣]:

يَسُوقُون أُسْطُولاً كأَنَّ سَفِينَهُ سَحَائبُ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ ومُمْطِرِ

ولفظة (الحنوط) وتعني كلَّ أدوية تمنع الفساد من مسك أو عنبر أو كافور[٤]:

أَخُو دُبُرٍ يَمُوتُ ٱلأَيْرُ فيـــهِ فَلاَ كَفَنٌ يُعَدُّ ولا حَنُوطُ

وقد خصص الأستاذ "حسن كامل الصيرفي" محقق الديوان عنوانا خاصا جعله للألفاظ الدخيلة في شعر البحتري، وأورد العديدَ من تلك الألفاظ الدخيلة التي تدل على ثقافة الشاعر الواسعة، واستلهامه لكثير من اللغات والألفاظ الأجنبية في شعره[٥].

هـ- دائرة ألفاظ الحياة والموت:

لقد تجلت معالمُ ذات البحتري الإنسانيةُ في أشعاره، فعبر عن مكنونها ودواخلها بما يتناسب مع ذلك من ألفاظ، وقد لفت انتباهَ هذه الذات التجاربُ (الحياتية) التي تعيشها، كما انشغلت بمصيرها المحتوم الذي لا مفر منه (الموت).

١- ألفاظ الحياة في وجدانيات البحتري:

استعان الشاعر بلفظة (العيش) متحسِّرا على قصر الحياة، فقال[٦]:

أَرَى العَيْشَ ظِلاًّ تُوشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ فَكِسْ فِي ٱبْتِغَاءِ العَيْشِ كَيْسَكَ أَوْمِقِ

(١) الديوان، ١١١٩/٢. (الوافر)
(٢) الديوان، ١٥٣٣/٣. (المتقارب)
(٣) الديوان، ٩٨٤/٢. (الطويل)
(٤) الديوان، ١٢٢٥/٢. (الوافر)
(٥) هذا البحث بعنوان: "الألفاظ الدخيلة الواردة في شعر البحتري". ينظر: الديوان، ٢٩٦٨/٤.
(٦) الديوان، ١٥٥٣/٣. (الطويل)

كما استعان بلفظة (الدنيا) في سياق ذم الحياة، فقال[١]:

ولم أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوَانَ مَجِيئِها ، فكيفَ ٱرْتِضَائِيها أَوَانَ ذَهَابِها ؟!

وفي حديثه عن الحياة الماجنة يذكر (الرعابيب[٢]- الغناء- القَيْنة- الراح- الرياحين)[٣]:

أيها السَّائلُ عن لذَّتِنا لذَّةُ ٱلعيش : الرَّعَابِيبُ ٱلخُرُدْ
وغِنَاءٌ حَسَنٌ من قَيْنَةٍ ، ورَيَاحِينُ ، وراحٌ تُسْتَجَدّْ

وتنصرم (الليالي- السنون) ولكن وهَج القصيد باق ما بقيت الحياة، يقول[٤]:

تَزُولُ ٱللَّيالِي والسِّنُونُ ، ولا يُرَىٰ عَلَى ٱلعَهْدِ طُولَ الدَّهرِ شيءٌ يُزِيلُهَا

و(الشباب) باكورة الحياة وأطيبُ العيش، إلا أن أيامه قصيرةٌ سريعة، فهو (قَرْض) لا بد من تأديته، يقول[٥]:

سألَتْنِي عن الشَّبَابِ كأَنْ لمْ تَدْرِ أَنْ الشبابَ قَرْضٌ يُؤَدَّى

والحياة عند البحتري أن يظل المرء في جهل، لأن العقل شقاء للإنسان، فيعبر البحتري عن وجهة نظره هذه مستخدما ألفاظَ (التصابي- لهو- العقل- الحلم- المعيشة- الجهل)، يقول[٦]:

عَقَلْتُ فَوَدَّعْتُ التَّصَابِي ، وإِنَّمَا تَصَرُّمُ لَهْوِ ٱلمَرْءِ أَنْ يَكمُلَ ٱلعَقْلُ
أَرَى ٱلحِلْمَ بُؤْسَىٰ فِي ٱلمَعِيشَةِ للفَتَى ؛ ولاَ عيْشَ إلاَ ما حَبَاكَ بِهِ ٱلْجَهلْ

ويستعين بـ (الدموع- الدماء) في دعوته للهوى، فيقول[٧]:

وهل خُلِقَ الفتَى إلَّا لِيَهْوَى ويأْنَسَ بالدُّموعِ وبالدماءِ ؟

(١) الديوان، ٢٣٢/١. (الطويل)
(٢) جمع رعبوبة، وهي المرأة الجميلة.
(٣) الديوان، ٧٩٣/٢. (الرمل)
(٤) الديوان، ١٧٨٢/٣. (الطويل)
(٥) الديوان، ٥٧٠/١. (الخفيف)
(٦) الديوان، ١٦١٦/٣. (الطويل)
(٧) الديوان، ٣٢/١. (الوافر)

٢- ألفاظ الموت في وجدانيات البحتري:

وجد في معجم البحتري الوجداني العديدُ من دوائر الألفاظ التي تعبر عن الموت، وكلِّ ما يتعلق به، ففي حديث الشاعر عن حتمية الموت وشموليتِه يذكر (الأماني الباطلة) للإنسان في العيش أمد الدهر، فيقول(١):

ولم أَرَ مِثلَ ٱلمَوْتِ حَقًّا كأَنَّهُ إذَا ما تَخَطَّتْهُ ٱلأَمَانِيُّ باطِلُ

كما يذكر (الرمس) و(التراب)(٢):

وهل أَنْتَ فى مَرْمُوسَةٍ طالَ أَخْذُهـا من الأَرضِ إلاَّ حَفْنَةٌ مِنْ تُرَابِها؟

والموت جبار لا يرده شيء، فحينما نزلت (المنون) بالمتوكل لم يستطع جنوده دفعَها عنه، يقول(٣):

فَمَا قاتَلَتْ عنهُ ٱلمَنُونَ جُنُـودُهُ ولا دافَعَتْ أَملاكُهُ وذَخَائِرُهْ

وفي دعوته إلى الموت في سبيل الفروسية يستخدم ألفاظ (الحمام- النائبات- الحوادث- الأقدار) يقول في رثاء "أبي سعيد الثغري"(٤):

كُنْتَ ٱلحِمَامَ عَلَى ٱلعَدُوِّ ولم أَخَفْ مِنْ أَنْ يكونَ عَلَى ٱلحِمَامِ حِمَامُ
ما كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ عِزَّك يُرْتَقَى بالنَّائبات ، ولا حِمَاك يُرَامُ
قَدَرٌ عَدتْ فيهِ ٱلحَوادِثُ طَوْرها ، وتجاوزَتْ أَقـدارَها ٱلأَيَّامُ

ويصف (الشيب) بأنه رسول (الردى) لأنه منذر باقتراب انقضاء الأجل، فيقول(٥):

شِبْتُ فَمَا أَنْفَكُّ من حَسْرةٍ ؛ والشَّيْبُ فى الرأسِ رسولُ الرَّدٰى

ويذكر (العمر- الفوت) في حديثه عن مرآته وقد ناصبها العداء، لأنها تريه الشيب وتذكره بالموت، فيقول(٦):

كانت تُرِينى العُمْرَ مُسْتَقْبَلاً وهى تُرينى الفَوْتَ مُذْ شِبْتُ

(١) الديوان، ٢٦٣٢/٤. (الطويل)
(٢) الديوان، ٢٣٢/١. (الطويل)
(٣) الديوان، ١٠٤٧/٢. (الطويل)
(٤) الديوان، ١٩٥١/٣. (الكامل)
(٥) الديوان، ٦٥/١. (السريع)
(٦) الديوان، ٣٩٠/١. (السريع)

كما استعان بألفاظ (الغلام الغَمْر– الهَوْل– الأشيب الكَهل) في تفضيله الشيب، يقول[1]:

يُهَالُ ٱلغُلاَمُ ٱلغَمْرُ حتى يَرُدَّهُ عَلَى ٱلهَوْلِ من مَكْرُوهِها ٱلأَشْيَبُ ٱلكَهْلُ

وينظر البحتري إلى الميت من العشق نظرته إلى (الشهيد) وأكثر، فيقول[2]:

مُتْ شَهيدَ ٱلهَوَىٰ فإنَّ لِمَنْ مـا ت من ٱلحُبِّ ضِعْفَ أَجْرِ الشَّهِيدِ

- **المصادر والمراجع:**

_ الاتجاه الوجداني عند شعراء النقائض في العصر الأموي، هويدا علي عطية البرش، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمياط، ٢٠١٧م.

_ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

_ ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط٣.

(١) الديوان، ١٦١٨/٣. (الطويل)
(٢) الديوان، ٨٠٦/٢. (الخفيف)